الافتتاحية

بعض لاهوت الرسالة إلى الفيلبيين

رئيس التحرير

مقدمة

بالرغم من كون الرسالة إلى الفيلبيين قصيرةً نسبيًّا (٤ فصول)، فإنها بالمقابل واحدة من أهم رسائل القديس بولس التي لا جدال حول نسبتها إلى هذا الأخير. بالطبع، عندما نتكلّم على هذه الرسالة نذكر أوّلاً "نشيد المسيح" في ٢: ٦–١١، أقدمَ نشيدٍ مسيحيّ نعرفه، والذي كُتب حوله الكثير الكثير وما زال.

إنّ تحليل المفردات المشتركة بين فل ١–٢ وفل ٣: ٢–١٦ يبيّن أنّ كلاًّ من هذين النصّين يدعو إلى الاتّضاع، أي إلى التماهي مع المسيح في تنازله حتى قبوله الصليب[1]. قد يجوز أن نؤكّد أنّ الآب السماويّ يَتعرّف على ابنه الحبيب في المؤمن المعمَّد. والمسيحي هو مَن يعيش اتّضاع الصليب، وهذا شرطُ حياةِ جماعةٍ مؤمنةٍ حقًّا، من أجل بلوغ هدف الحياة المسيحيّة، أي التحوّل بالمسيح (٣: ٣–٢٠)، والاشتراك في أبديّته المجيدة.

هناك علاقة في فل بين حكمة العالم وبين رسالة الصليب. لدينا هنا قرابةٌ مع ما في ١ كو ١–٤؛ حيث يؤكّد بولس أنّ المسيح يكشف حكمةَ الله من خلال موته على الصليب. أمّا تلميذُ المسيح فقد صَلَبَ في ذاته حكمةَ العالم كي يتلقّى حكمةَ الصليب.

إضافة إلى نشيد ٢: ٦–١١، تقدّم لنا فل لمحةً نادرةً عن بولس الإنسان، وتُبرزه تحت أضواء ألطف من تلك التي يتبدّى فيها عادة؛ كما أنّها تعكس تفكير بولس في أمور لاهوتيّة هامة، كالتبرير بالإيمان، مثلاً، وغيرها، علمًا أنه نادرًا ما يُستشهَد بالرسالة إلى الفيلبيين في النقاش حول مسألة التبرير بالإيمان، مع أنها في قلب نداء بولس: "فإنّي لأَحسب كلّ شيء خسرانًا، بالنظر إلى الحصول على معرفة المسيح يسوع ربّي، الذي من أجله خسرت كلّ شيء، وأحسبه نفايات لأربح المسيح، وأكون فيه، لا برّ لي من الشريعة، بل من الإيمان بالمسيح، برًّا من الله، قائمًا على الإيمان، لكي أعرفه وأعرف قوّة قيامته، والاشتراك في آلامه، مشابهًا إيّاه في موته، لعلّي أبلغ القيامة من بين الأموات" (٣: ٨–١١). كذلك تفكير الرسول حول سجنه وآلامه من أجل الإنجيل (١: ١٢–١٤؛ ٢: ١٧؛ ٤: ١٠–٢٠)، والآلام التي تقاسيها جماعة فيلبي، وما تواجهه من معارضة (١: ٢٧–٣٠؛ ٣: ١٧–٤: ١)، وعلاقة الاثنين بنموذج حياة المسيح كما هي مرسومة في ٢: ٦–١١، كلّ ذلك يسلّط ضوءًا على فهم بولس لمعنى الألم، وعلى مسألة البرّ الذي من الله. في فل، يستضئ الألم بالصليب. إضافة إلى ذلك، تُميّزُ صِيَغ كلمة "نعمة" (χαρις) مفردات فل، وتوفّر فرصةً أخرى لوزن الرسالة اللاهوتي.

كثيرون يحبّون الرسالة إلى الفيلبّيين لأنهم يجدون بولس فيها قريبًا إلى القلب، إن جاز التعبير، وأنه يتفاعل مع كنيسة لم تُطرَح فيها سلطته على بساط البحث، وحيث "إنجيله" لم يتعرّض للهجوم. إنّ ما أثار غضب بولس، ليس مسيحيّو فيلبي، بل "الكلاب"، "العملة الأردياء"، "ذوو قطع اللحم" (٣: ٢). ومع أن فل هي رسالة تحريضيّة، فإنها أيضًا رسالة موجّهة إلى أصدقاء أعزّاء من قِبَل إنسان يحبّهم حبًّا شديدًا، ويُعنَى جدًّا بما يفيدهم.

(١) J.-B. EDART, *L'épître aux Philippiens, Rhétorique et composition stylistique,* Etudes Bibliques, NS 45, Gabalda, Paris, 2002, pp. 326-328.

في فل نشهد وجودَ مثالٍ، ليس فقط على براعة بولس في الكلام على الصداقة، بل أيضًا على اللطف الذي به يتعاطى مع العاملين معه في سبيل الإنجيل: "وقد حسبت من الضروريّ أن أبعث إليكم أبفرديطس أخي ومعاوني ورفيق تجنّدي، رسولكم وخادمَ عَوَزي" (٢: ٢٥ي)، وحتّى مع الذين هدّدوا وحدة الجماعة: "أطلب إلى أفوديا، وأطلب إلى سنتيخا أن تكونا على رأيٍ واحد في الربّ" (٤: ٢). إنّ طابع الرسالة المُهَيمِن هو مُحدَّد بجذرِ كلمة "فرح" (χαρις) التي تَرِدُ مرات عدّة، والتي يمكن نقلها بكلمة "نعمه" أيضًا، أو "حظوة إلهيّة"، لكنّه ليس فرحًا سهلَ المنال لا ألم فيه أو صعوبة، بل، بالأحرى، فرح عميق ينبع من غياهب المعتقل حيث القيود و"السلاسل" (١: ٧، ١٣)، ومن جسد الكنيسة المتألّمة ، حيث إمكانيّة الاستشهاد هي حقيقة ملموسة: "لأنّكم قد أُنعِمَ عليكم من أجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فحسب، بل أن تتألّموا من أجله" (١: ٢٩).

بالإمكان إذًا استخراج بعض الموضوعات الهامّة التي تلفت نظر القارىء المتبحّر في نصوصها، والتي سنستعرض أهمّها.

١ – الإنجيل

ندرك تماما أهمية كلمة "إنجيل" (τὸ εὐαγγέλιον)، واستعمالَها المتكرِّرَ في الرسائل البولسية الكبيرة؛ فلقد قال الرسول كلّ ما عنده تقريبًا حول هذه الكلمة في روم ١: ١٦ : "أنا لا أخجل بالإنجيل، لأنه قوة الله لخلاص كلِّ مَن يؤمن"[٢]. إن إعلان الإنجيل هو مَهمَّة بولس الرسوليّة الأغلى[٣].

إذًا، حتى ولو كانت رسالة فيلبّي قصيرة، فإن موضوع "الإنجيل" يتكرر فيها أغلبَ الأحيان، كما نتبيّن ممّا يلي:

– على بولس أن يدافع عن الإنجيل: "جُعِلْتُ للدفاع عن الإنجيل" (١: ١٦)؛

– لا همّ أن يكون أسيرًا، لأن أَسْرَهُ سيتحوّل لصالح الإنجيل: "أريد أن تعلموا، أيها الإخوة، أنّ ما جرى لي قد آلَ بالحريّ إلى نموّ الإنجيل" (١: ١٢).

– وإذا كان الرسول يمدح أهل فيلبي، فليس ذلك بسبب سخائهم فقط، بل أيضًا لأنهم "انحازوا إلى الإنجيل" (١: ٥)، "والدفاع عنه وتثبيته" (١: ٧)، على مثال تيموتاوس، الخادم الأمين لقضيّة الإنجيل:"لأنه خدم معي في سبيل الإنجيل" (٢: ٢٢).

– على المؤمنين أن يجاهدوا لأجل الإنجيل، كما "ناضلت أفوديَا وسُنْتِيخَا مع بولس في الإنجيل" (٤: ٣)، "فيسيروا سيرة جديرة بإنجيل المسيح" (١: ٢٧)، "ثابتين في روح واحد ومناضلين معًا بقلب واحد في سبيل الإيمان بالإنجيل" (١: ٢٧).

– في ١: ٥ يتكلم الرسول على "مشاركة الفيلبيين في الإنجيل"، بعد أن تقبّلوا البشرى بالإنجيل من بولس ورفاقه، سيلا (أع ١٥: ٤٠)، وتيموتاوس (١٦: ٣)، ولوقا (١٦: ١٠)، وشاركوهم فيها بإيمان، وتألموا معهم بفرح من أجلها (فل ١: ٢٧–٣٠)، ومدّوا يد العون إلى بولس في فاقته أكثر من مرّة (فل ٤: ١٦–١٨؛ ٢ قور ١١: ٨–٩). نشير إلى أن "المشاركة" (κοινωνία) هي لفظة هامّة مميِّزة للعهد الجديد؛ فهناك خاصةً المشاركة في الإنجيل (١: ٥)، وفي الروح القدس (٢: ١)، وفي آلام المسيح (٣: ١٠) وفي الخيور المادية (٤: ١٥). إن المشاركة هي موضوع رسالة كاملة لبولس، كما نقرأ في ١ كور ١: ٩: "أمينٌ هو الله الذي دعاكم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا"؛ وهي تميز الكنيسة الأولى في أورشليم: "وكانوا مواظبين على تعليم الرسل، والمشاركة" (٢: ٤٢).

نلاحظ أنّ الجذر اليوناني κοινων، "شركة"، لا نصادفه إلاّ في مستهلّ الرسالة (κοινωνία في ١: ٥) وفي نهايتها (συγκοινωνήσαντές في ٤: ١٤) حيث الصيغة هي فريدة الرسالة، وهذه الشركة هي دلالة على ما بين بولس والفيلبيين من علاقة وثيقة وشراكة عميقة.

– في ١: ٢٧ يتكلّم بولس على "السيرة الجديرة بإنجيل المسيح". إنّ السيرة هي التطابق مع أسلوب الإنجيل ومع تعاليمه: "نناشدكم أن تسلكوا مسلكًا جديرًا بالله" (١ تس ٢: ١٢؛ رج أيضًا ٢ تس ١: ١١؛ أف ٤: ١؛ قول ١: ١٠). ويشدّد الرسول في الآية عينها (فل ١: ٢٧) على أن يكون أهل فيلبي "مناضلين معه بنفس واحدة في سبيل الإيمان بالإنجيل"؛ فالإنجيل يعني البشرى التي تولّد الإيمان، أو البشرى التي تُقْبَلُ بإيمان.

– في ١: ١٢، يودّ بولس "أن يعلم الإخوةُ أنّ ما جرى له قد آلَ بالحريّ إلى نموّ الإنجيل". هو لا يهتمّ إلاّ بأمر الإنجيل وبخير المؤمنين، ولم يكن يشغله "ما جرى له"، أي القبض عليه وسجنه مقيَّدًا بسلاسل، بانتظار الحكم عليه إمّا بالموت أو بالإطلاق، بل "نموّ الإنجيل". إنّ كلمة "نموّ" (προκοπὴ) في العهد الجديد، والتي تعني أساسًا في الأصل اليوناني "السير إلى الأمام والتقدّم والنمو"[٤]، هي خاصة ببولس الذي يتكلّم على "نموّ الإنجيل" (فل ١: ١٢)، و"نموّ إيمانكم" (١: ٢٥)، الخ.

(٢) Ου γαρ επαισχυνομαι το ευαγγελιον, δυναμις γαρ θεου εστιν εις σωτηριαν παντι τω πιστευοντι

(٣) رج كارلوس مسترز، **بولس العامل المبشّر بالإنجيل**، سلسلة بيبليات، ٦، لبنان ١٩٩٥.

(٤) W. BAUER, *A Greek-English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature* (The University of Chicago Press: Chicago and London 1979).

- في ١: ٧ يتكلّم بولس على "المشاركين في نعمته" (συγκοινωνούς μου τῆς χάριτος)؛ إنّها نعمة التبشير بالإنجيل التي وُهبت للرسل ولبولس، ويشترك فيها مؤمنو فيلبي أيضًا: "مناضلين معي" (١: ٢٧)، و"مجاهدين الجهاد عينه" (١: ٣٠).
- ويتكلّم بولس كذلك في آ ٧ ذاتها على أنّه "في السلاسل والدفاع عن الإنجيل وتثبيته"، مبيّنًا بذلك أنّه كان أبدًا يذهب حتى النهاية في احتمال الآلام من أجل الإنجيل والدفاع عنه وترسيخه.
- ونصل إلى ٤: ٣ حيث يتكلّم الرسول على "أفوديَا وسُنْتِيخا" (٤: ٢) اللتين "ناضلتَا معه في الإنجيل" (٤: ٣)، بالرغم من اختلافهما في ما يتعلّق بالرسالة الإنجيلية.

٢- التبرير بالإيمان

يعرض بولس هذه العقيدة بشكل واسع في رسالته إلى الرومانيين، ويوردها في فل أيضًا بوضوح؛ فهو يضع البرّ الذي من الشريعة ("أنا بلا لوم من حيث البرّ الذي في الشريعة"، ٣: ٦)، وهو البرّ البشريّ البحت ("لا برّ لي من الشريعة"، ٣: ٩)، مقابل البرّ الذي من الله، "المستند إلى الإيمان" (٣: ٩)، والذي يتمّ الحصول عليه بالإيمان بالمسيح: إنه "برّ من الإيمان بالمسيح، برّ من الله، قائم من الإيمان" (٣: ٩).

إنّ الإيمان الذي به يتبرّر الإنسان هو عطيّة النعمة: "لأنّكم قد أُنعِمَ عليكم من أجل المسيح" (١: ٢٩؛ رج ١: ١١)، لأنّ الله هو مَن يُفعّل في الإنسان الإرادةَ والعمل، كما يقول بولس: "لأنّ الله هو العامل فيكم برضاه أن تريدوا وأن تعملوا" (٢: ١٣؛ رج ١: ٦).

لا يمكن المؤمن إذًا أن يتباهى باستحقاقاته، إذ ليس له أيّ سبب لأن "يتباهى" أو "يفتخر" (καυχώμενοι؛ ٣: ٣)، وهذا الفعل نراه يتكرّر غالبًا في روم ("نفتخر في الله أيضًا، بربّنا يسوع المسيح"، ٥: ١١)، وأكثر في ٢ كور ("إنّا لا نفتخر فوق القياس بأتعاب غيرنا"، ١٠: ١٥؛ رج روم ١٥: ٢٠). إنّ الوقوع في تجربة الكبرياء هذه، هو بالنتيجة إزدراءُ صليبِ المسيح: "أولئك يسلكون مسلك الأعداء لصليب المسيح" (٣: ١٨؛ رج غل ٦: ١٢-١٤).

٣- الفرح

إذا كان موضوع "الفرح" لا يغيب أبدًا من رسائل بولس، فإنه يعود بقوّة وبإلحاح في فل، حيث نجد الفعل "فَرِحَ" تسع مرّات، والفعل "فَرِحَ مع" مرّتين، والاسم "فَرَح" خمس مرات. فبولس، وبالرغم من أسره ومن إمكانية استشهاده، يفيض فرحًا عظيمًا، كما نتبيّن من الاستشهادات التالية: "ضارعًا بفرح" (١: ٤)؛ "حسبي أن يُبَشَّر بالمسيح، على كلّ حال، بغرض أو بحقّ: إنّي لأفرح بهذا ولن أزال أفرح" (١: ١٨)؛ "بل لو أنّي أُراق على ذبيحة إيمانكم وخدمته، فلأفرحنّ وأبتجهنّ معكم جميعًا" (٢: ١٧)؛ "إذًا، يا إخوتي أحبّائي، الذين إليهم أَشَدُّ اشتياقي، فرحي وإكليلي، فاثبتوا هكذا في الرب" (٤: ١)؛ "لقد فرحت في الرب فرحًا عظيمًا" (٤: ١٠). لكن الرسول لا يفرح وحده، بل يدعو أهل فيلبي، كما فعل مع مسيحيّي روما (روم ١٢: ١٢، و ٢ كو ١٣: ١١)، إلى أن يفرحوا معه، قائلاً: "وأنتم أيضًا فافرحوا الفرح نفسه، وابتهجوا معي" (٢: ١٨)؛ "وإني لباعثُه (أي أبفرديطس) إليكم عاجلاً حتى تروه، فيعودكم الفرح" (٢: ٢٨)؛ "وبعد، يا إخوتي، فافرحوا بالرب" (٣: ١)؛ "إفرحوا في الرب على الدوام؛ أكرّر: إفرحوا" (٤: ٤). يشكّل الفرح إذًا قلب برهان بولس في فل.

٤ - "الأساقفة (و)الشمامسة" (فل ١: ١)

"الأساقفة (و)الشمامسة" هم مسؤولون في جماعة فيلبي، ومكانتهم هي "مع" (σὺν) المؤمنين، ولا يحتلّون مركزًا يجعلهم "فوق" هؤلاء. يذكرهم بولس هنا بعد أن مدّوه بالمعونة المادية، أو لأنهم مولجون بإيجاد حلٍّ لأزمة ما ضمن الجماعة المذكورة.

إنّ العبارة "مع الأساقفة (و)الشمامسة" (σὺν ἐπισκόποις καὶ διακόνοις) في فل ١: ١ هي غير معتادة؛ فإننا إذا استثنينا الرسائل الراعوية، التي هناك جدلٌ حول أصالتها البولسيّة، فإننا لا نجد أيّ ذكر للأساقفة (ἐπισκόποι) في رسائل بولس الأخرى. أما بالنسبة إلى كلمة "شماس" (διακόνος)، فإن بولس يستعملها تكرارًا، ولكن في معاني متنوعة ليُشير بها إلى مختلف الخدم، بما فيها خدمته هو: "أخدّام للمسيح هم؟" (٢ كو ١١: ٢٣)؛ "الإنجيل الذي صرت خادمًا له" (أف ٣: ٧). يجوز بالتالي أن نتساءل إذا ما كانت الكلمتان "أساقفة" و"شمامسة" في فل ١: ١ تدلاّن على درجتين من السلطة الهرميّة، كما في ١ تيم ٣: ١٣ ("فإنّ الذين يُحسنون الخدمة يُحرزون لأنفسهم مرتبة حسنة")، أو إذا كان المقصود فقط تعبيرًا جاهزًا يدلّ على ذات الأشخاص، والتعبيران لم يكن لهما بَعْدُ المعنى الإداريّ والتقنيّ الذي سيصير لهما لاحقًا.

إنّ هذه الفرضيّة الثانية هي أكثر إمكانية للقبول، كون المفردتين "أساقفة" و"شمامسة" تظهران في ثلاثة نصوص ترقى إلى المسيحيّة الأولى: **الديداكيه** ١٦: ١؛ **رسالة إكليمنضوس إلى الكورنثيين** ٤٢: ٤٥؛ راعي هرماس، **الرؤى** ٧، ٥، ١)، حيث تدلّ على الأشخاص

ذاتهم[٥]. نلاحظ أيضًا أن الذهبيّ الفم، في تفسيره لفيلبي ١: ١، يُعلن أنّه، في البدء، كان "الأسقف يُدعَى شماسًا"، ممّا يفسّر، كما يقول، "أنه في أيامنا أيضًا الكثير من الأساقفة يكتبون إلى زملائهم في الأسقفية، مستعملين عبارة "شريكي في الرعاية" (copresbytre) أو "شريكي في الشمّاسيّة" (codiacre)، بالرغم من أنه، مع مرور الزمن، نُسب إلى كلّ من الكلمتين معنًى خاصّ بهما.

استناداً إلى أندريه لومير[٦]، إذا قبلنا هذا التفسير، فسيكون مناسبًا ترجمة فل ١: ١، ليس بـ"الأساقفة والشمامسة" بل بـ"الأساقفة الشمامسة"، الأمر الذي يتناسب تمامًا مع النص اليوناني (σὺν ἐπισκόποις καὶ διακόνοις).

ما ينبغي خاصة لحظه هو أنه، في فل ١: ١، يتوجّه بولس أوّلاً إلى الجماعة، ثم إلى الأساقفة (و)الشمامسة؛ ليس لهؤلاء علّة وجود إلاّ خدمة الكنيسة المحليّة وبارتباط بها.

٥- اتحاد بالمسيح

يعبّر بولس عن شهوته القويّة، هو المأخوذ بلا حدود بالمسيح، "لأنّ المسيح يسوع أدركه" (٣: ١٢)، أن يترك هذه الحياة الأرضيّة ليكون أبدًا مع الرب: "أشتهي أن أنحلّ وأكون مع المسيح" (١: ٢٣؛ رج ٢ كور ٥: ٦-٩؛ ٢ تيم ٤: ٦). لكن، بانتظار هذا الموعد النهائيّ، يواصل السعيَ: "أسعى لعلّي أُدرِك" (٣: ١٢)؛ "أنسى ما ورائي وأمتدّ إلى ما أمامي، ساعيًا نحو الهدف" (٣: ١٣-١٤).

وباستطاعة بولس أن يقول منذ الآن: "الحياة لي هي المسيح" (١: ٢١). لا قيمة لأيّ شيء خارجًا عن مَن كرّس له بولسُ حياتَه كلَّها، وهو يبغي أن يربح مهما كان الثمن: "لكن كلّ هذه الأمور التي كانت لي أرباحًا، حسبتها من أجل المسيح خسرانًا، بل أكثر، فإني لأَحسبُ كلَّ شيءٍ خسرانًا، بالنظر إلى الحصول على معرفة المسيح يسوع ربّي، الذي من أجله خسرت كلَّ شيء، وأحسبه نفايات لأربح المسيح" (٣: ٧-٨).

يهمّه قليلاً أن يحيا أو أن يموت، لأن المسيح سيتمجّد: "سيتمجّد المسيح في جسدي" (١: ٢١). هذا ما يفسّر مواجهته المحن بثقة بالنفس، لأنه قادر على كلّ شيء بالذي وشّحه بالقوة: "إنّي أستطيع كلّ شيء بالذي يقوّيني" (٤: ١٣؛ رج ٢ كور ١٢: ٩-١٠؛ ٢ تيم ٤: ١٧؛ كول ١: ١١، ٢٩). هو متأهّب لأن يسفك دمه: "بل لو أني أُراق على ذبيحة إيمانكم وخدمته، فلأفرحنّ وأبتهجنّ معكم جميعًا" (٢: ١٧)، ولأن يعيش سرَّ يسوعَ الفصحيَّ، أي أن يُضحيَ شبيهًا به في موته كي يبلغ إلى القيامة من بين الأموات (٣: ١٠-١١).

وبكل ثقة، ينتظر بولس من السماء "الربّ يسوع المسيح مخلّصنا" (٣: ٢٠) الذي "يغيّر جسد ضعفنا، فيجعله على صورة جسد مجده" (٣: ٢١).

يتكلّم بولس مرّات عدّة في رسائله الأولى على المجيء، ونجد ذلك أيضًا في فيلبي: "لكي تكونوا أنقياء وبغير عثار إلى يوم المسيح" (١: ١٠)؛ "لفخري في يوم المسيح" (٢: ١٦)؛ "أمّا نحن فمدينتنا في السماوات، منها ننتظر الربَّ يسوع المسيح مخلّصنا" (٣: ٢٠)؛ "الربّ قريب" (٤: ٥).

ويشدّد الرسول تكرارًا على الحميمية مع المسيح بعبارة "في المسيح"، أو "في المسيح يسوع"، أو "في الربّ". فعلى مثال بولس الذي يضع في المسيح وحده افتخاره (١: ٢٦) ورجاءه (٢: ٢٤)، الفيلبيون هم "في المسيح يسوع" (١: ١)؛ لذا ينبغي أن "يثبتوا في المسيح" أو "في الرب" (٤: ١)، ويقبلوا الإخوة (٢: ٢٩)، ويعيشوا بفهم جيّد (٤: ٢)، ويفرحوا (٣: ١؛ ٤: ٤)، ويبشروا بالإنجيل (١: ١٤)، ويتلقّوا السلام وعطايا الله الأخرى (٤: ١؛ ٤: ١٩).

باتحاد الفيلبيين بالمسيح، لكونهم "فيه"، لا يمكنهم إلاّ أن يكونوا متّحدين بعضهم ببعض بقوّة[٧]. لقد تقسّم أهل فيلبي على بعضهم بسبب الأنانية والعُجْب بالذات، لهذا يدعوهم بولس إلى أن يبدّلوا سلوكهم وطرقهم، وأن يكونوا في خدمة بعضهم البعض في التواضع كما خدمهم المسيح (٢: ١-١١). حتى ولو لم تكن جماعة فيلبي منقسمة كجماعة كورنتس (١ كور ١: ١٠-١٢)، يشعر بولس بالحاجة إلى أن يشدّد على الوحدة الضرورية بين الجميع (١: ٢٧؛ ٢: ٢-٤؛ ٤: ٢) بتعابير قريبة من تعابير الرسائل الكبرى (رج روم ١٢: ١٦؛ ١٥: ١٥؛ ٢ كور ١٣: ١١). نتبيّن هذا التشديد خاصةً من الاستعمالات العديدة لحرف الجر "مع"، منفردًا أو مركّبًا مع أفعال معيّنة (١: ٢٧؛ ٢: ١٧، ١٨؛ ٣: ١٠؛ ٤: ٣) أو مع أسماء (٢: ٢، ٢٥؛ ٣: ٢١؛ ٤: ٣). من أجل أن يحثّ بولس الفيلبيين على التفاهم وعلى الاتضاع الذي يشكّل شرطًا للتفاهم، يقترح عليهم أن يتأمّلوا مَثَلَ المسيح، الذي يعبّر نشيد ٢: ٦-١١ عمّا هو جوهريّ في هذا المجال. من خلال

---

(٥) بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي**، سلسلة محطات كتابية ٤، ١٩٩٦، ص ٣٩.

(٦) A. LEMAIRE, *Les ministères aux origines de l'Eglise*, Cerf, 1971, p. 100.

(٧) D. A. BLACK, " Paul and Christian Unity: A Formal Analysis of Philippians 2 : 1-4 ", *Journal of the Evangelical Theological Society* 28 (1985) 299-308.

هذا النشيد هو يعالج روح التحزّب، والنزعة الجامحة إلى تحقيق الطموحات الشخصية، واتّباع الآراء الفارغة أو الفاسدة، والاهتمام بالأمور الشخصية والخاصة، مقابل إهمال تلك العائدة إلى الجماعة. سيكون بولس سعيدًا إذا توصّل الفيلبيون إلى أن تقوم في ما بينهم علاقات تتميّز بالصدق والخلاص المتبادلَين، وذلك لخيرهم ومن أجل شهادة لا لوم فيها أما الناس (٢: ١٢-١٨) تليق بإنجيل المسيح:

"أتمّموا فرحي بأن تكونوا فكرًا واحدًا، وتكون لكم محبة واحدة، وتكونوا نفسًا واحدةً، مفكّرين فكرًا واحدًا".

لا تفعلوا شيئًا بتحزّب أو بعُجْب، بل بتواضع، حاسبين الآخرين أفضل منكم. لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل إلى ما هو للآخرين" (٢: ٢-٤).

خاتمة

ممّا تقدّم يمكننا أن نستنتج أن الرسالة إلى أهل فيلبي تتميّز بكونها فيضًا عفويًّا ملؤه الحنان والعاطفة، أكثر منها عرضًا عقائديًّا متينَ البنية. فباستثناء نشيد المسيح في ٢: ٦-١١، لا نجد في هذه الرسالة مطوّلات عقائديّة كالتي في الرسائل إلى الرومانيين والكولوسيين والأفسسيّين. وتبقى مسألة الوحدة هَمَّ بولس الرئيسيَّ، لأنها ضمانة للمشاركة في إعلان إنجيل المسيح يسوع، وما يعوز الفيلبيين ليحقّقوها هو أن يجعلوا حياتهم مطابقة لحياة يسوع الذي تواضع وأخلى ذاته. لذا، تُعتَبَر الرسالة إلى الفيلبيّين غذاءً عظيمًا لإيمان أبناء الكنيسة.

مراجع

الفغالي بولس، **رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي**، سلسلة محطات كتابية ٤، ١٩٩٦.

الفغالي بولس، "بنية الرسالة إلى فيلبي"، مجموعة محاضرين، **بولس ورسائله**، سلسلة دراسات بيبلية ٢٤، ٢٠٠١، ص ٣٩٦-٤١٦.

كارلوس مسترز، **بولس العامل المبشّر بالإنجيل**، سلسلة بيبليات، ٦، لبنان ١٩٩٥.

BLACK D. A., " Paul and Christian Unity: A Formal Analysis of Philippians 2: 1-4 ", *Journal of the Evangelical Theological Society* 28 (1985) 299-308.

DORNIER Pierre et CARREZ Maurice, " L'épître aux Philippiens ", in AAVV, *Lettres de Paul, de Jacques, Pierre et* Jude, coll. PBSB, NT 3, Desclée 1983, pp. 170-191.

LEMAIRE A., *Les ministères aux origines de l'Eglise*, Cerf, 1971.

LEGASSE S., *L'épître aux Philippiens*, Cahiers Evangile, n. 33, 1980.

MURPHY-O'CONNOR J., " Philippiens (Epître aux) ", *Supplément au Dictionnaire de la Bible*, t. 7, col. 1211-1233, Letouzey, Paris, 1965.